الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات أدبية

رؤيا الأزمة الحضارية عند نزار قباني في هوامشه و عند توماس إليوت في أرضه اليباب ـ دراسة مقارنة ـ

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات الحصول على شهادة ليسانس

من إعداد الطالبتين :

- **بشرى بن كبوية**
- **إكرام كحلال**

اشراف الاستاذ :

- **د/ وليد رافع**

السنة الجامعية

2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالى : " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " .

فالحمد لله في كل وقت وحين على توفيقه لنا طول هذه السنين ، فسبحانه من يسر لنا السبيل ، وجعل لنا في كل خطوة تسهيل ، فلولا توفيقه تعالى لما أتممنا هذا العمل .

وبعد فضل الله نتقدم بجزيل الشكر بقدر ما ينزل من السماء من قطرات المطر، إلى منارة العقول إلى من نجد دوما عنده الحلول ، والذي أنار لنا طريقنا بعلمه ومعرفته ، فقد رافقنا في كل خطوة لإكمال هذا العمل ، ومهما تقدمنا له بالشكر فإن كلمات الشكر لا توفي دعمه وتعبه معنا ، فكل

الشكر والتقدير للأستاذ المشرف " وليد رافع " .

إهداء

عندما تحضر الإرادة يسقط المستحيل .

لم يكن الوصول سهلا ، بل كان الدرب حافلا بالصعوبات ، فقد تعثرت ونهضت ، خفت وتشجعت ، تعبت وقاومت ، لكن كل هذه التضحيات أصبحت من أجمل الذكريات .

إلى من أفتخر كوني ابنتهما ، إلى من انتظرا هذه اللحظة ليفتخرا بي ، إلى والديّ العزيزين.

إلى منبع الحنان ، التي تودعني بدعاء وتستقبلني بحضن ، إلى من أصبحت العقبات جسرا يوصلني للنجاح بفضل دعائها ، إلى من تعلمت منها الصبر ، إلى مصدر صمودي وقوتي ، إلى صاحبة النيات الطيبة ، أمي الحبيبة أطال الله في عمرها . إلى الذي لم يبخل عليّ بشيء ، وكرّس حياته لأجل راحتنا ، إلى الذي تعجز كل الكلمات أمام فضله ، إلى الذي لم يترك يدي أبدا وبنى لي سلّم النجاح بتعبه ، إلى أبي الغالي أطال الله في عمره .

إلى روح أخي المتوفى " يوسف " الذي قضيت معه أجمل لحظات طفولتي وتمنيت لو كان حاضرا معي اليوم .

إلى أخواي الغاليين ، إلى أخواتي " وردة ، أمينة ، سارة ، إلى كتاكيت المنزل " أشواق سيلين ، ريماس " .

إلى الذي زودني بالعلم والحكمة ، ولم تعرف حدوده وتوجيهاته وإرشاداته حدودا ، إلى من أوقد لي شغف المعرفة ، وكان له الفضل الأكبر في إتمام هذا العمل ، إلى الذي لم يردّني يوما ، إلى قدوتي أستاذي المشرف بكل فخر وامتنان .

إلى من التحم جهدها بجهدي ، ، وقضينا معا أوقاتا لا تنسى صديقتي " إكرام " .

إلى كل الناس الطيبين الذين أحبوني بصدق وشجعوني وساندوني بدعواتهم .

بشرى بن كبوية

إهداء

أهدي هذا البحث ألى كل من ساندني و شجعني في حياتي و مسيرتي الدراسية

إلى أمي الغالية و الحنونة و مثال التفاني و العطاء

إلى أبي العزيز الذي غرس فيا بذرة العلم و رسم لى طريق النجاح أطال الله في

عمره

إلى أخوتي و أخواتي :أسماء،مروى،ايمن،عبد الرزاق ،

إلى صديقتي و زميلتي قي البحث بشرى بن كبوية التي كان دور كبير في هذا

البحث

إكرام كحلال

مقدمة :

يمتاز الشعر الإحيائي بمحاكاة المواضيع والأغراض التقليدية مثل : الرثاء ، والوصف والمدح والغزل ....الخ .

فنجد شعراء الإحياء يفتتحون قصائدهم بالوقوف على الأطلال والغزل ، ثم يستخدمون بعد ذلك الأغراض القديمة ، كما أنهم اتبعوا النهج الموسيقي التقليدي فراحوا ينظمون قصائدهم بالاعتماد على الشكل العمودي ، فتقيدوا بأوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي والتزموا بقافية موحدة وبحر واحد وروي واحد في كامل القصيدة ، فكان الشعر الإحيائي بذلك تقليديا في هيكله ولغته.

أما الشعر الحداثي فقد غير تلك السمات ، واستبدل تلك المواضيع والأغراض التقليدية من حماسة وفخر ومدح ووصف ، بمواضيع تمس الإنسان المعاصر كالتخلف والإنحطاط الحضاري والأخلاقي ، وهذه المواضيع متعلقة بالتحولات الاجتماعية والثقافية والفلسفية ، أما بالنسبة للشكل فقد تخلى الشعر الحداثي عن الشكل العمودي ، من وحدة البحر ووحدة الروي ، فقد نوّع في الوزن والقافية.

وفي ظل هذا الاختلاف بين الشعر الإحيائي والشعر الحداثي يحق لنا طرح جملة من الإشكاليات :

مقدمة:

ماهي الحداثة ؟ وهل الحداثة عند الغرب هي نفسها الحداثة عند العرب ؟ وماهي المواضيع التي تطرق إليها الشاعر الحداثي ؟ وماذا استخدم في التعبير عن رؤياه اتجاه هذه المواضيع ؟

وقد كان لبحثنا مجموعة من الأهداف منها :

التعمق في ماهية الحداثة أكثر .

معرفة المواضيع الذي تناولها الشعراء الحداثيون .

معرفة الوسائل التي اعتمدها الشعراء في تصويرهم لتلك المواضيع.

الكشف عن العوامل المسببة في انهيار الحضارة العربية ، وكذلك العوامل التي ستتسبب في انهيار الحضارة الغربية .

ولقد كان وراء اختيارنا لموضوع دراستنا جملة من الأسباب منها الذاتية التي تتمثل في:

ميلنا للشعر الحديث والمعاصر .

حبنا لكتابات نزار قباني وتوماس إليوت .

أما بالنسبة للأسباب الموضوعية فيمكن تلخيصها في أن :

الموضوع جديد وغير مستهلك .

والسبب الثاني هو أن الحداثة تتجلى في الشعر أكثر من النثر .

اكتشاف الأسباب التي أدت إلى هدم الحضارة العربية .

اكتشاف الأسباب التي ستؤدي لهدم الحضارة الغربية

وقد كانت دراستنا مبنية على مقدمة وفصلين وخاتمة ، فكانت خطة بحثنا مهيكلة على النحو التالي :

مقدمة تحدثنا فيها عن الفرق بين الشعر الإحيائي والحداثي ، وتطرقنا في الفصل الأول وهو الجزء النظري إلى مفهوم الحداثة في بعدها الفلسفي ، وكذا في بعدها الأدبي عند كل من العرب والغرب ، كما تناولنا أركان الحداثة الأدبية المتمثلة في الغموض بركنيه الرمز والأسطورة ، أما الركن الثاني للحداثة فهو الرؤيا .

أما في الفصل الثاني لدراستنا وهو الجزء التطبيقي ، فقد قدمنا فيه ترجمة للشاعر نزار قباني ، وقمنا باستخراج الرؤية الشعرية من قصيدته " هوامش على دفتر النكسة " ، كمل قدمنا في هذا الجزء ترجمة للشاعر توماس إليوت ، وقمنا باستخراج الرؤيا من قصيدته المترجمة " الأرض السياب " ، وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا .

ولقد اصطدمنا بعدة صعوبات في دراستنا هذه منها :

قلة المصادر والمراجع .

الموضوع جديد وغير مستهلك .

صعوبة قصيدة توماس إليوت " الأرض اليباب " .

عدم توفر المراجع في مكتبة الكلية .

ومن المراجع التي أعانتنا في بحثنا هذا :

التراث و الحداثة لمحمد عبد الجابري .

الحداثة في منظور إيماني لعدنان علي رضا النحوي .

الفصل الأول

تأصيل الحداثة فلسفيا و أدبيا

1. مفهوم الحداثة :

1.1 الحداثة في بعدها الفلسفي :

يتسم مفهوم الحداثة بالغموض عادة ، فلفظة الحداثة تحوي بحرا واسعا من التعاريف ؛ وذلك لتفرع مجالاتها وميادينها ، فالحداثة لا تتعلق بالأدب وحسب وإنما تتجاوزه ، متطرقة إلى الفلسفة والسياسة ....الخ .

ومن التعاريف المقدمة للحداثة نذكر : " الحداثة modernisme مصطلح حديث يدل على الجديد ، والميل إلى المعاصرة ، وليس مذهبا معينا ، ولكنه اتجاه جديد مهمته مصارعة القديم باسم الجديد ، والتحرر من إسبار القوالب والمضامين التي مضى عليها الزمان ، والأديب الذي تغلب على القديم شكلا ومضمونا يدعونه مجدّدا " .[1]

ومعنى هذا أن الحداثة هي مصطلح يشير إلى الجديد والميل نحو المعاصرة دون التمسك بمذهب معين ، إنها تمثل اتجاها جديدا يهدف إلى مقاومة التقاليد بأفكار جديدة ، والتحرر من القوالب والمضامين التي تجاوزها الزمن ، ويعتبر الأديب الذي يتغلب على التقاليد القديمة سواء في الشكل أو المضمون محركا لإحياء التجديد .

[1] الدكتور محمد التونجي ،المعجم المفصل في الأدب ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1419هـ _ 1999 م ، ص 349 .

كذلك جاء في قول الدكتور محمد عابد الجابري : " فالحداثة في نظرنا لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي ، بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه بالمعاصرة ، أعني مواكبة التقدم الحاصل على الصعيد العالمي " [1] .

فالحداثة لا تكون بالتجرد من التراث والتملص منه ، وإنما في تعاملنا مع ذلك التراث بالشكل الصحيح لنتماشى مع التطور الذي شهده العالم .

إضافة إلى ذلك ، التعريف الذي ورد في كتاب روح الحداثة : "حقبة تاريخية متواصلة ابتدأت من أقطار الغرب ، ثم انتقلت آثارها إلى العالم بأسره " [2] .

ومفاد هذا التعريف أن الحداثة فترة تاريخية مستمرة ، بدأت في الغرب ، وتأثيراتها انتقلت لتشمل العالم بأسره ، كما أنها تمثل مرحلة من التغيرات والتطورات الهامة التي شهدتها البشرية عبر التاريخ .

والحداثة كذلك هي : " النهوض بأسباب العقل والتقدم والتحرر " [3] .

أي إعادة النظر في العوامل المساهمة في التقدم والتحرر.

---

[1] محمد عابد العابري ، التراث والحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، يوليو 1991 م ، ص 13 ص 16 .

[2] طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص 23 .

[3] المرجع نفسه ، ص 23

إضافة إلى ذلك هناك مجموعة من التعاريف المقدمة للحداثة في كتاب تشريح النص : " وذلك أن الحداثة كمفهوم قد انفصلت تماما عن مفهوم التجديد أو المعاصرة ، وهو انفصال يتفق عليه كل المتجادلين حول الحداثة ، لأن الجميع يرضون بالتجديد ويقبلون المعاصرة ، لكنهم يختلفون حول الحداثة ، من هنا تتميز الحداثة وإن لم تتحدد " [1] .

فالحداثة تمثل مفهوما مستقلا يختلف عن التجديد والمعاصرة ، وهذا الانفصال مقبول بين المتناقشين حول الحداثة ، فالجميع يوافق على أهمية التجديد ويقبلوم المعاصرة ، لكنهم يتناقضون في مفهوم الحداثة ، بشكل محدد ، وبالتالي يمثل مفهوم الحداثة موضوعا للنقاش والتحليل المستمر

كذلك " لأنه مفهوم _اليوم_ تتعدد أبعاده بتعدد المتحاورين فيه ، مما يجعله رؤية اجتهادية للفرد المتحدث ، هي بمثابة الموقف الخاص أكثر مما هي تصور معرفي مشترك" [2] .

أي أن مفهوم الحداثة يعكس تعدد الأبعاد بناءا على تنوع وتعدد الأشخاص الذين يناقشونه ، فإنه يمثل رؤية فردية لكل متحدث ، بدلا من كونه مفهوما معرفيا مشتركا ،

[1] عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، بروت ، لبنان ، ط 2 ، 2006 ، ص 9 .

[2] عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، ص 10 .

وبذلك يتمثل دور الحداثة بالنسبة للفرد في التعبير عن وجهة نظره الشخصية وموقفه الفردي اتجاه العالم .

نضيف إلى ذلك التعريف القائل بأن الحداثة هي : " انقلاب في المضامين ، وتمرد في الموضوع ، بينما قد يرى آخر أن الحداثة مرادف اصطلاحي للبديع أي أنها تحول في الشكل الفني وفي طرق في الأداء " [1] .

بمعنى أن الحداثة تصوّر بالنسبة لبعض الأشخاص بأنها انقلاب وتغير في المضامين وتمرد في المواضيع ، بينما يعتبرها آخرون مجرد مرادف للإبتكار الفني ، بحيث أنها تعبر عن التحول في الشكل الفني وطرق الأداء .

وتعريف الحداثة كذلك : " الحداثة ظاهرة تاريخية ، وهي ككل الظواهر التاريخية مشروطة بظروفها محدودة بحدود زمنية ، ترسمها السيرورة على خط التطور ، فهي تختلف إذن من مكان لآخر ، من تجربة تاريخية لآخرى " [2] .

أي أن الحداثة هي ظاهرة تاريخية ، تتأثر بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، في كل زمان ومكان ، لذلك تظهر تجارب الحداثة بصور مختلفة من مجتمع لآخر ، وتتطور عبر الزمن بتأثير العوامل المحيطة بها ، بناءا على الظروف والتجارب التاريخية المختلفة .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 10 .

[2] محمد عبد الجابري ، التراث والحداثة ، ص 16 .

تستوقفنا كذلك هذه المقولة : " وفي هذا الخضم الهائج من القلق أخذت لفظة الحداثة مفهومات متعددة وتعريفات مختلفة وظلالا متباينة ، وفي جميع حالاتها لا نستطيع أن نراها أكثر من أنها امتداد طبيعي للقلق الأوروبي ولاضطراب أفكاره ومبادئه، وفلسفاته وآدابه " [1] .

أي أن هذه الفترة المضطربة الموسومة بالقلق اكتسبت لفظ الحداثة ، مفاهيم وتفسيرات متنوعة ، ومع ذلك فإنها هي لا تعدو سوى أن تكون تمثيل طبيعي للقلق الأوروبي وانعكاسا لتشتت أفكاره ، ومبادئه وفلسفاته وآدابه .

إضافة إلى أنها : " كمفهوم نظري هي إنتاج غربي في الزمان والمكان " [2] .

إذ يعني هذا أن مفهوم ومظاهر الحداثة نابع من الغرب .

1-2. الحداثة في بعدها الأدبي :

1-2-1 عند الغرب :

في الحديث عن ظهور الحداثة عند الغرب ، يمكن الاستناد إلى القول الآتي : "يقول جان بودربار عن الحداثة : إن الحداثة ليست مفهوما سوسيولوجيا أو سياسيا أو

[1] عدنان علي رضا النحوي ، الحداثة في منظور إيماني ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 1 ، 1409هـ _ 1988 م ، ط 2 ، 1409 هـ _ 1989 م ، ط 3 ، 1410 هـ_ 1989 م ، ص 18 .

[2] محمد أركون ، محمد الجابري ، هشام جعيط ، الحداثة الفكرية في التأليف العربي المعاصر ، مركز بناء البحوث والدراسات ، ط 1 ، بيروت ، 2014 ، ص 23 .

تاريخيا ، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة تعارض صيغة التقليد ، أي أنها تعارض جميع الثقافات الأحرى السابقة أو التقليدية " [1] .

إذا فهو يشرح بأن الحداثة ممارسة تنفي أو تعارض الأسس التي قامت عليها الثقافات الغربية في الماضي ، التي كانت قائمة على الدين .

إذا فإن الحداثة الغربية انطلقت منذ لحظة الابتعاد عن الثقافة الدينية ، وذلك لأن الحداثة مختلفة ومتعددة الأوجه ، بتعدد تعريفاتها .

ويدل مفهوم الحداثة عند هابرماس على المعاني التالية : " الفردانية والحق في النقد واستقلالية الفعل والفلسفة التأملية ذاتها " [2] .

إذا فإن الحداثة بالنسبة إليه تعني الاهتمام بالفرد ككيان مستقل وأن يكون له حق في التعبير عن آرائه كما تعني الاستقلالية في اتخاذ القرارات وتصرفات وهي تهتم بالفلسفة في كشف ذات الإنسان .

وتعرف الحداثة كذلك بأنها : "أن الحداثة مرتبط تماما حركة الاستنارة الذي ينطلق من فكرة أن الانسان هو مركز الكون وسيده وأنه لا يحتاج إلا إلى عقله " [3] .

---

[1] محمد برادة ، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، مجلة فصول ، عدد 3 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1984 ، ص12 .

[2] عبد الرحمن اليعقوبي ، الحداثة في التأليف الفلسفي الغربي المعاصر ، مركز نماء لبحوث والدراسات ، ط 1 ، بيروت ، 2014 ، ص 31_32 .

[3] عبد الوهاب المسيرى ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 1 ، القاهرة ، 2006 ، ص 34 .

إذا فالحداثة تشبه حركة الاستنارة ، التي تهتم بالانسان وتعتبره مركز الكون .

ويعرف ألان نورين الحداثة بقوله : " ألا وهي أن الحداثة تتحدد بكونها ترسي أسسا لا اجتماعية لأفعال اجتماعية ، وتفرض خضوع المجتمع لمبادئ أو قيم ليست اجتماعية في حد ذاتها " [1] .

إذا فالحداثة في مفهوم ألان هي أن تضع مبادئ اجتماعية للمجتمع وتفرض عليهم هذه المبادئ .

. أما تعريف بودلير للحداثة بقوله : " فالحداثة عنده هي العابر والهارب والعرضي ، إنما نصف الفن التي يكون نصفه الآخر ، هو الأبدي والثابت ، وللحداثة وجهان : سلبي : وهو ما عكسته المدينة الكبيرة ، بما فيه من غياب التحضر ..." [2] .

إذا فإن الحداثة هي مذهب انقلب في الأفكار للتقدم ، والتطور ، ولهذا فإن الحداثة ليس لها قيود في أي عصر أو زمن ، فهي تسعى للتطور والنهوض بالأمم .

وتعني الحداثة : " مصطلح ثقافي ومفهوم يعبر عن لا محدودية المستقبل ، عن الشمولية ، وعن كونه العام مقابل الخاص أو ما قام منه ، ومن هنا حمل الحداثة

[1] ألان نورين ، براديغما جديدة لقدم عالم اليوم ، نرجمة جورج سليمان ، المنظمة الغربية للترجمة ، ط 1 ، بيروت ، 2011، ص 132 .

[2] محمد برادة ، اختبارات لتحديد مفهوم الحداثة ، ص 12_13 .

إمكانية التيسير بالمختلف الذي سيأتي به أفق اللامحدود المستقبلي " [1] .

إذا من هذا التعريف فالحداثة أصبحت خطئا حضاريا متجها نحو المستقبل يدعوا إلى آفاق جديدة ، ترفض كل التقاليد ، تدعوا إلى التغير داخل المجتمع وتتجاوز مظاهر التقاليد .

ويقول الشاعر الفرنسي فلوبير عن الحداثة : " الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي ، بمعنى أن الوعي الحداثي ليس تشبعا لسلطة ماضوية وحنينا إلى أصل تلبد وحقبة ذهبية ، بل هي تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي " [2] .

إذا فالحداثة مرتبطة بالزمان وبالمكان وبالكتابة ، ولعل القطعية مع ما مضى من أهم خصائصها في الأدب ، وهي تبحث عن الأصل وتمجد للحاضر ومحاولة انفتاح على التطور والمستقبل .

والحداثة بالنسبة لهيجل هي : " سياق تاريخي تشير إلى عصر (الأزمة الجديدة) أو الأزمة الحديثة ، ....وتشير إلى القرون الثلاث السابقة ..." [3] .

إذا فالحداثة تعني له عصور جديدة أو أزمنة متطورة تبحث عن تطور .

---

[1] مطاع صفدي ، نقد العقل الغربي وما بعد الحداثة ، مركز الانتماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1990 ، ص 203 .

[2] محمد الشكير ، هايدغر وسؤال الحداثة ، د ط ، المغرب ، 2006 ، افريقيا الشرق ، ص 11 .

[3] هبرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر ،فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995 ، ص

ويعرف الناقد الفرنسي رولان بارت الحداثة بقوله : " انفجار معرفي لم يتوصل الانسان المعاصر إلى السيطرة عليه " [1] فهو بمعنى بأن حداثة تفجر الطاقات الكامنة وتحرر شهواتها للإبداع والمعرفة ، فيقف الانسان منبهرا بها .

كما يعرف الحداثة بقوله : " بأن الحداثة لا تقدم لنا أعمالا كاملة ومعصومة ومع ذلك يجب علينا التمسك بها والدفاع عنها " [2] .

فهو بمعنى بقوله هذا أنه علينا أن نتخذ موقفا من الحداثة وأن ندافع عنها من مجموعها راضين بما ينتج عنها من نقائص .

ويقول " فلوبير " : " كل ما أريد أن أفعله هو أن أنتج كتابا جميلا حول لا شيء وغير مترابط إلا مع نفسه وليس مع عوالم خارجية " [3] .

فهو بمعنى أن الحداثة تشبه كتابا جميلا يتحدث إلا على نفسه ، ولا يذكر عوالم خارجية .

---

[1] محمد مصطفى هدارة ، محاضرة الحداثة والتراث ، نقلا عن رضا النحو ، الحداثة في منظور إيماني ، ص 25_26

[2] رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، تر : عبد السلام بن عبد العالي ، دار التويفال ، مغرب ، ط 3 ، 1993 ، ص 44 .

[3] نقلا عن : رضا النحوي، الحداثة في منظور إيماني ، ص 27 .

ونجد (جوس أورتيكا كاست) يقول : " أنها هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومنسي والطبيعي إنما لا تعبد صياغة الشكل بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس " [1] .

بمعنى أن الحداثة تخرج وتبتعد عن كل القيم الإنسانية متمثلة في الرومنسية وطبيعية للأدب وهي تحاول صياغة الفن إلى الفوضى واليأس .

2.2.1 عند العرب :

تطورت الحداثة عند العرب عبر عدة مراحل تاريخية ، بدءا من فترة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وصولا إلى التحولات الاجتماعية والثقافية في العصر الحديث .

" عندما نتحدث عن فكرة الحداثة إذن فنحن نعني تحديدا تلك المحاولات التي قام بها المفكرون العرب لتحديث الفكر العربي " [2] .

فالحداثة في السياق العربي تشير إلى المساعي والجهود التي بذلها المفكرون العرب لتحديث الفكر والثقافة العربية .

[1] مصدر نفسه ، ص 27 .

[2] عدنان علي رضا النحوي ، الحداثة في منظور إيماني ، ص 8 .

" فنحن عندما نتحدث عن الحداثة ، فيجب أن لا نفهم منها ما يفهمه أدباء ومفكرون أوروبا ، أعني أنها مرحلة تجاوزت مرحلة " الأنوار " ومرحلة " النهضة " التي تقوم أساسا على " الإحياء " ، إحياء التراث والانتظام فيه نوعا من الانتظام .

إن الحداثة عندنا ، كما نتحدث في إطار وضعيتنا الراهنة ، هي النهضة والأنوار وتجاوزهما معا " [1] .

فالحداثة عندنا نحن العرب تتخطى المراحل التقليدية مثل النهضة والأنوار ، إذ تتجاوز مجرد إحياء التراث وتندرج ضمن واقعنا ، كمرحلة جديدة تدمج في طياتها بين التجديد والتفوق على الأفكار السابقة .

وللحداثة دعاة في العالم العربي " أما دعاتها في العالم العربي فحدث ولا حرج ، فكاهنهم الأول يبدو أنه أدونيس (علي أحمد سعيد) ، وزوجته خالدة سعيد ، والشيوعي عبد الله العروي ، والدكتور كمال أبوديب ، ومحمد عفيفي مطر ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وحسين مروة ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد العزيز المقالح ، وعبد الوهاب البياتي ، ونزار قباني وغيرهم " [2] .

[1] محمد عبد الجابري ، التراث والحداثة ، ص 16 .

[2] عدنان علي رضا النحوي ، الحداثة في منظور إيماني ، ص 24 .

ولكل رائد من هؤلاء رؤيته الخاصة للحداثة " يرى منذر عياشي أن الحداثة دال مفارق بمعنى أنه قد اتخذ معنى جديدا من الصعب أن تجد له مثيلا في الدلالات المتداولة ، وكذلك فإن الحداثة فعل أي انها انزياح دائم وتجاوز وانفصال .

إن الحداثة فعل يخلق ذاته بذاته على الدوام ، كما أن الحداثة زمان ، إنه الزمان الحديث " [1] .

فالقول بأن الحداثة دال مفارق يعني أنها ليست مجرد مفهوم مستقر ، بل أنها تتجاوز الدلالات التقليدية وتبتكر معاني جديدة مما يختلف .

الحداثة عند العرب هي : " مذهب فكري يسعى لهدم كل موروث والقضاء على كل قديم ، والتمرد على الأخلاق والقيم والمعتقدات " [2] .

أي أن الحداثة هي معتقد فكري يحاول القضاء على المعتاد والمألوف وتجاوز كل ماهو قديم والخروج كذلك عن المبادئ والقيم والمعتقدات .

[1] محمد بن عبد العزيز بن أحمد العالي ، الحداثة في العالم العربي ، (دراسة عقدية) ، الدكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ص 148 .

[2] عوض بن محمد القرني ، الحداثة في ميزان الاسلام ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، واعلان، ط 1 ، 1988 ، ص 12 .

والحداثة عند رضوى عاشور " مشروع تجديد لا قطيعة " : " فالحداثة بهذا المعنى تمثل مشروعا يهدف إلى تطور مختلف المجالات ، رغم ذلك فالحداثة لا تكون بالضرورة قاطعة تماما ، فقد تكون هناك استمرارية لبعض العناصر والتقاليد " [1] .

أي أن الحداثة تبحث عن طريق تطور وتجدد من مختلف الميادين ولكن الحداثة لا تعني بالضرورة تغير وتجديد في كل العناصر والتقاليد .

ولا ينبغي علينا أن ننسى رائد الحداثة العربية أدونيس حيث يعرفها بأنها : " شكل من أشكال الصراع بين النظام القائم على السلفية والرغبة العامة لتغيير هذا النظام " [2] .

فالحداثة عند أدونيس بهذا المعنى تحمل معنى التنازع بين المنهج السلفي والسعي لتغيير هذا النهج ، كما يشير أدونيس إلى الحداثة في مواضع أخرى بقوله : " أن الحداثة في الثقافة العربية هي مسألة الفكر العربي في حواره مع نفسه ومع تاريخية المعرفة في التراث العربي " [3] .

---

[1] رضوى عاشور ، الحداثة الممكنة الشدياق على الساق ، الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 2 ، 2012 ، ص 130 .

[2] أدونيس ، الثابت والمتحول ، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب ، صدمة الحداثة ، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1978 ، ص 9 .

[3] أدونيس ، الشعرية العربية، محاضرات ألقيت في الكوليج ، دوفرانس ، باريس ، أيار 1984 ، دار الآداب ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ط 2 ، 1989 ، ص 89 .

فالحداثة عند العرب تتجلى في تحديث الفكر والثقافة ، وهي عملية تتضمن الحوار الداخلي للفرد العربي مع تراثه الثقافي والفكري .

ويقول أدونيس كذلك أن : " زمن الحداثة هو الزمن العمودي ، أو هو التزامن حيث تتلاقى الأزمنة وتتآلف في لحظة واحدة هي لحظة الإبداع " [1] .

فأدونيس يصف لنا زمن الحداثة عند العرب بأنه زمن تتداخل فيه الأزمنة وتتجانس في لجنة الإبداع ، بحيث يمتزج التقليد مع الحداثة ، ليخلق لنا مزيدا من التأثير والإنبهار في الثقافة .

إضافة إلى أقوال أدونيس عن الحداثة عند العرب نضيف قول عبد الله الغدامي :

" إنها صلة استكشاف أبدية في أغوار أبرز الحقائق الإنسانية " [2] .

وعبد الله الغذامي يقصد بقوله هذا أن الحداثة تمثل رحلة استكشافية مستمرة للحقائق الإنسانية ، حيث تسعى لفهم الذات والعالم بطرق جديدة ومتطورة .

تناول جابر عصفور موضوع الحداثة كذلك بقوله : " تنبثق الحداثة من اللحظة التي تمرد فيها الأنا الفاعلة للوعي على طرائقها المعتادة في الإدراك سواء أكان إدراك

[1] أدونيس ، كلام البدايات ، دار الآداب ، ط 1 ، 1989 ، ص 156 .

[2] عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، مقاربة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، ص 10 .

نفسها ، من حيث هي حضور متعين فاعل في الوجود أو إدراك علاقتها بواقعها ، من حيث هي حضور مستقل في الوجود " [1] .

فالحداثة تنشأ عندما تقررالذات التمرد على الطرق التقليدية للإدراك ، سواء كان ذلك في فهمها للذات ككيان مستقل في الوجود ، أو في فهمها لعلاقتها بالعالم المحيط بها ، وهذا التمرد يدفع الفرد لاستكشاف أفكار جديدة ومفاهيم مشهورة لفهم الذات والواقع .

والحداثي السوري يوسف الخال كذلك له نظرته الخاصة للحداثة حيث يرى بأن " الحداثة في الشعر إبداع وخروج به على ما سلف ، وهي لا ترتبط بزمن " [2] .

بمعنى أنه خرق للمألوف ، وابتداع الشيء الجديد الذي لم يكن وهي غير مرتبطة بالزمن ، فهي ليست مقيدة بفترة زمنية معينة أو بحقبة تاريخية محددة .

[1] جابر عصفور ، رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 2008 ، ص 383 .

[2] يوسف الخال ، الحداثة في الشعر ، دار الطباعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1978 ، ص 15 .

2. أركان الحداثة الأدبية:

2-1 تعريف الغموض :

أ-لغة :

إن العديد من معاجم اللغة العربية ، أشارت إلى الغموض من خلال استعمالاته اللغوية المتنوعة ، مثل معجم لسان العرب لابن منظور في قوله : " غمض المكان ، وغَمضُ المكان ، وغَمَضَ الشيء ، وغمض غموضا فيه ، خفي ، غمض فلان في الأرض يغمض غموضا إذا ذهب فيها .

والغامِض من الكلام : خلاف الواضح ويقال للرجل الجيد الرأي : قد اغمض النظر ، ومسألة غامضة فيها نظر ودقة ومعنى غامض : لطيف " [1] .

ووردت أيضا في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : " غمض الغين والميم والضاد أصل صحيح يدل تداخل في الشيء ، فالغمض : ما من الأرض ، وجمعه غموض ، ثم يقال : غمض الشيء من العلم وغيره ، فهو غامض ودار غامضة إذا لم تكن شارعة بارزة وحسب غامض : لا يعرف وغمض عينه وأغمضها بمعنى وهو قياس الباب ويقال ما غمضا من النوم ولا غماضا " [2] .

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ج 7 ، بيروت ، ط 3 ، 2004 ، ص 198 .

[2] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية ، ج 2 ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 204 .

وعرف الغموض أيضا في معجم أساس البلاغة : يقال للأمر الخفي والمعنى من : أمر غامض وكلام غامض : غير واضح ، وهذه مسألة فيها غوامض ومكان غامض وغميض : مطمئن ، وغمض في الارض ، غموضا إذا ذهب وغاب ، ودار فلان ، غامضة: ليست بشارعه وهي التي تنحت عن الشارع ، وحسب غامض : مغمور غير مشهور ، وخلخل غامض ، غاص ، وقد غمض في الساق غموضا ، وضربه بالسيف فغمض في اللحم ، وأغمض الميت وغمضه ، وما أغمضت البارحة"[1]

أما القاموس المحيط للفيروز أبادي عرفه بقوله : " الغامض المطمئن من الأرض ، ج غوامض ، كالغمض جمع غموض ، وأغماض ، وقد غمض المكان غموضا وغمض عنه البيع فغمض تساهل كأغمض وفي الأمر يغمض ويغمض : ذهب وسار ودار غامضة غير شارعة " [2] .

ومنه فإن معنى الغموض في اللغة متقارب ومتشابه في معاجم اللغة فهو يعني : الإخفاء وعدم وضوح المعنى ، الإبهام وهو ضد الوضوح والبيان .

[1] الزمخشري ، أساس البلافغة ، ص 712 .

[2] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تر : مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2005 ، ص 649 .

ب-اصطلاحا :

تعددت واختلفت التعاريف حول مصطلح الغموض سواءا عند العرب أو الغرب ، وهذا لأن ظاهرة الغموض من أهم الظواهر التي أحدثت حولها جدل كبير منذ القديم .

نجد " سعيد علوش " يعرف الغموض بقوله :

1. " طبيعة خطاب (لغوي ، أو أي نظام دال) يملك عند متلقيه أكثر من معنى ويستحيل عليه تأويله بدقة .

2. ويفترض إعلان خبر من قبل باعثه ، وضوحه مادام يبلغ معنى واحدا إلا إذا كان باعث الخبر يرغب في توصيل معاني مختلفة .

3. ويعود (الغموض) إلى تعدد القراءات (التأويلات) ، المقاصد .

4. كما يعزى (الغموض) إلى تعدد المعاني القاموسية .

5. وتساهم البنية السطحية للخطاب في تمثيلاتها ، سيميائية متعددة بإنتاج (الغموض) التركيبي " [1] .

[1] سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1985 ، ص 158 .

ومنه فإن الغموض بالنسبة لسعيد علوش بمعنى أنه الكلام له عدة معاني أو دلالات لدى المتلقي وأن الغموض يعود باختلاف معانيه حسب الخلفيات المعرفية التي ينطلق منها أثناء فعل القراءة أو التأويل .

ويعرف الشاعر الإنجليزي " وليام أمبسون " الغموض بقوله : " وأنا أنوي هنا استعمال كلمة الغموض لتعطي معنى واسعا وأظن أن أي فارق لفظي دقيق مهما كان طفيفا يعد متصلا بموضوعي و يفسح المجال لردود أفعال بديلة للمقطوعة اللغوية الواحدة " [1] .

ومنه فهو يستعمل الغموض لأنه له معنى واسعا وشاملا ولأنه يتعدد في معناه وكثرة احتمالاته .

ويعرف الغموض بأنه : " هو وسيلة يستخدمها الشاعر عن وعي لتأوية الجانب الإيحائي في الصورة وخاصة إذا كانت هذه الصورة توحي بتلك الأبعاد الخفية المستورة من تجربة الشاعر ، والتي لا يستطيع الشاعر حتى لو أراد أن يعبر عنها بشكل واضح محدد " [2]

---

[1] وليام إمبسون ، سبعة أنماط من الغموض ، تر : صبري محمد حسن عبد النبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، د ط ، 2000 ، ص 17 .

[2] دكتور علي عاشوري زيد ، من بناء القصيدة العربية الحديثة ، كاسو الأزكية ، ط 4 ، 1422هـ _ 2002م ، ص 82 .

أي أن الغموض هو أداة بيد الشاعر للكشف عن جوانب إيحائية في الصورة المخفية .

ونجد الأستاذ والدكتور " مسعد بن عبد العطوي " يعرف الغموض في كتابه " الغموض في الشعر العربي " بقوله : " ينطلق الغموض من مفهوم الجمال المكتمل بذاته ، فأنت تراه جميلا لكن تحديد ماهية الجمال لا تستطاع ، ففيه تلاحم وتناسق بين الأجزاء ، وهذا ما يريده المبدعون للنص الإبداعي ، بل يريدونه جميلا لكن لا يبحثون عن ماهية هذا الجمال ، فهو يرسل أشعته وسهامه كما يصفها العشاق بلا رؤية لهذه السهام المخترقة للمتأمل بهذا الجمال وهم يرون اكتمال الجمال بثبات المنفعة الدائمة " [1] .

ومنه فإن الغموض بالنسبة لمسعد بن عبد العطوي هو جمال مكتمل لكن هذا الجمال يصعب تحديد معناه وماهيته لأنه متناسق المعنى والأجزاء وهو يرى أن المبدعين متأثرين بجمال هذا الغموض لكن دون بحث عن معناه وماهيته .

أما الغموض عند أدونيس فهو : " وصف يطلقه القارئ على نص لم يقدر أن يستوعبه أو يسطر عليه ويجعله جزءا من معرفته " [2] .

[1] مسعد بن عبد العطوي ، الغموض في الشعر العربي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط 3 ، 1420 هـ ، ص 162 .

[2] أدونيس ، زمن الشعر ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 2005 ، ص 16 .

إذا الغموض هو المعنى الذي يطلق على النص غير المفهوم والواضح والذي يجد القارئ فيه صعوبة الإدراك .

1.1.2 أركان الغموض :

إن الغموض يفرض علينا استخدام الخيال ، والأسلوب غير المباشر واختراق القواعد الثابتة ، ولكي يتحقق هذا الغرض ينبغي على الغموض أن يكون موشحا بالرمز والأسطورة .

أ-الرمز :

اختلفت الآراء ووجهات النظر حول مصطلح الرمز ، فهو يحمل تفسيرات متعددة بحسب السياق الذي يستخدم فيه :

" وأصل مادة الكلمة في اللغة اليونانية sumbolein التي تعني الحرز والتقدير ، وهي مؤلفة من sum بمعنى " مع " و bolinal بمعنى " حرز " [1] .

هذا بالنسبة للمدلول الاشتقاقي لكلمة الرمز أما عندما نتحدث عن المفهوم العام له فلابد أن نشير إلى تقسيم بيفان للرمز " وبطريقة أكثر تحديدا يقسم بيفان الرموز إلى نوعين : يمكن أن نطلق على أولهما الرمز الاصطلاحي ، ويعني به نوعا من

[1] د . محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1984 ، ص 33 .

الإشارات المتواضع عليها ، كالألفاظ باعتبارها رموزا لدلالاتها ، أما ثانيهما : فيمكن أن نسميه بالرمز الإنشائي ويقصد به نوعا من الرموز لم يسبق التواضع عليه " [1] .

فبيفان هنا يعتبر النوع الأول من الرموز مجموعة من الإشارات قوامها الإصطلاح وليس التشابه الفعلي بين الأشياء ، أما النوع الثاني فيشمل مجموعة من الرموز وهو عكس النوع الأول ، لأنه ليس مبنيا على التواضع ، وعلى المستوى اللغوي يتناوله أرسطو بقوله : " الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة " [2] .

والمقصود من قول أرسطو هو أن الكلمات ترمز لمعاني الأشياء .

أما على المستوى النفسي فيقول فرويد عى ذلك : " إن الرمز نتاج الخيال الشعوري وأنه أولي يشبه صور التراث والأساطير " [3] .

ففرويد هنا يقر بأن الرمز قد ولد من رحم الخيال ، وهو يمتلك تشابه واضح في التراث والأساطير ، فهو يحمل في طياته تلك القصص القديمة التي تعبر عن تاريخ وثقافة محددة .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 34 .

[2] محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د ط ، أكتوبر ، 1988 ، ص 39 .

[3] د. محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية ، ص 36 .

" الرموز بحسب رأي فرويد تجمع بين الحقيقي وغير الحقيقي " [1] .

فالرموز وفق نظر فرويد تمثل مفاهيم تتأرجح بين الواقع والخيال ، حيث تعبر تلك الرموز عن أفكار ورغبات عميقة في اللاوعي ، وفي الوقت نفسه تعبر عن جوانب من الواقع الذي يعيشه الفرد .

" أما في الشعرية الأدبية فيبدو أنه من المرغوب فيه أن تستخدم اللفظة في هذا المعنى : كشيء يدل على شيء آخر ، وإن كان يتطلب الانتباه إليه في حد ذاته " [2] .

فالرمز في النظرية الأدبية يفهم عادة كشيء يدل على معنى آخر لكنه في الوقت ذاته يمتلك قيمة فردية وجودة تجعله موضوع اهتمام ودراسة في حد ذاته .

ب-الأسطورة :

تمثل الأسطورة تراث الإنسان ، وعادة ما يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى مفهوم شامل للعديد من الأبعاد الثقافية والدينية والفلسفية ، ويمكن أن يتشابه مع المأثور الشعبي ، وقد تعددت التعريفات فكل دارس اتجه إلى تفسير معين .

" وهو الذي جاء في كتاب أرسطو " شعريات proctics بمعنى التركيب plot ، البناء الحكائي ، المادة القصصية poble ، ونقيضها الفكرة أو الحكمة logos "

---

[1] عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، ط 4 ، ص 108_109 .

[2] رنيه وليك ، آوستزارن ، نظرية الأدب : تر : عادل سلامة ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د ط ، 1412_1992 ، ص 257 .

الأسطورة " هي القصة أو الحكاية في مقابل المحاجة والبيان ، هي أيضا الشيء المجاني للعقل والعكس " [1] .

فالأسطورة هي عكس الحكمة وهي بمثابة القصة أو الحكاية وهي الأمر المنافي لقواعد العقل .

" الأسطورة إما هي كلامية أو أن كلاميتها تكون محتجبة ، بيد أنها تكون دائما معبرة ، ودائما يمكن رؤية وجوه طبقتين أو أكثر فيها " [2] .

فالأسطورة تتجلى إما بكلماتها البارزة أو بصمتها العميق ، ومع ذلك يمكن رؤية طبقات متعددة دائما في جوهرها .

وقد وردت لفظة الأسطورة في المعجم الفلسفي لجميل صليبا بمعاني عديدة " فالأسطورة قصة خيالية ذات أصل شعبي تمثل فيها قوى الطبيعة بأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معان رمزية كالأساطير اليونانية التي تفسر حدوث ظواهر الكون والطبيعة ، بتأثير آلهة متعددة أو هي حديث خرافي يفسر معطيات الواقع الفعلي كأسطورة العصر الذهبي ، وأسطورة الجنة المفقودة " [3] .

---

[1] رنيه وليك آوستن وارن ، نظرية الأدب ، ص 259 .

[2] أليكسي لوسين ، تر : د منذر بدر حلوم ، فلسفة الأسطورة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 2000 ، ص 112 .

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 1982 م ، ص 79 .

فالأساطير تمثل غالبا تصورات خيالية متعلقة بتفسير الظواهر الطبيعية بأسلوب خرافي ، كما أنها تمثل قيما ثقافية وتاريخية معينة وتشكل جزءا من تراث الشعوب .

2-2. تعريف الرؤيا :

أ-لغة :

إن دلالة الرؤيا في المعاجم اللغوية متقاربة المعنى ، فهي غالبا ما تتفق في دلالتها مثل معجم لسان العرب لابن منظور يعرف الرؤيا على أنها : " ما يراه الإنسان في منامه وجمعها رؤى ، وتعني الأحلام ، وهي مميزة بالألف في آخرها عن الرؤية التي تعني الإبصار في حالة اليقظة ، يقال رأيته بعيني رؤية العين ، رأي العين أي حيث يقع البصر عليه " [1] .

وكذلك نجد أن معنى الرؤيا في معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر بقوله : " رأى ، يرى ، ره ، رؤيا ، فهو راء والمفعول مرئي .

رأى في منامه كذا : حلم ، " رأيت فيما يرى النائم أنني أطوف حول الكعبة " ،".

" رؤيا مفرج ، جمع رؤى ، (لغير المصدر) : مصدر رأى .

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 10 .

الرؤيا الصادقة : أول طريق لكشف الغيب ، وقد بدأ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نبوءته بالرؤيا الصادقة ، ما يحلم به الناس " رؤيا طيبة " [1] .

ويعرف الزمخشري الرؤيا في معجم أساس البلاغة بقوله : "

رأي : رأيته بعيني رؤية ، ورأيته في المنام رؤيا ورأيته رأي العين ، وأرأيته غيري إراءة ورأيت الهلال ، وتراءى بنا الهلال وتراءى الجمعان وتراءت لنا فلانة : حصدت لنا لنراها ، وهو يتراءى في المرأة وفي السيف : ينظر فيها ، وفي الحديث " لا يتراءى أحدكم في الماء وهو يرائى الناس مرآة ورياء وفعل الخير رئاء الناس ، وهو حس المرأى والمرأة وخطر في المرأة ، وله مراء محلوة ، ورأى رؤيا حسنة ، وروى حسانا ورأت المرأة ترئية يوزن ترجعه ونرجه وهي ما نراه من صفر أو بياض " [2] .

وعرفت الرؤيا أيضا في المعجم الفلسفي لإبراهيم مدكور بقوله :

" الرؤية فعل الحس البصري ."

تطلق أيضا على إدراك بصري لما هو روحاني ، ومنه الوحي والإلهام وتلتقي بهذا مع الحلم والرؤيا " [3] .

---

[1] أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ص 840 .

[2] الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998 م ، ص 326 .

[3] إبراهيم مدكور ، معجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1913 ، ص 90 .

ومنه فإن دلالة الرؤيا في المعاجم متشابهة فهي تعني الحلم ، إدراك بصري ، رؤيا المنام

ب- اصطلاحا :

تتعدد المعاني الاصطلاحية لكلمة الرؤيا عند الكتاب والنقاد ، وأخذت عدة دلالات سواء عند الغرب أو العرب .

ومنه نجد نواف نصار يعرف الرؤيا في معجمه المصطلحات الأدبية بقوله : " رؤيا vision :

1. مقدرة غير عادية على النظرة الحكيمة وحسن التمييز ونفاذ البصيرة .

2. الطريقة التي يرى أو يتخيل بها الإنسان .

3. صورة عقلية ناتجة على ملكة الخيال " [1] .

ومنه فإن معنى الرؤيا عند نواف نصار محصورة في الحكمة أو حسن التمييز أو هي خيال الإنسان الواسع أو هي تصورات الإنسان ناتجة من عقله وخياله .

ووردت كلمة رؤيا (vision) في المعجم الأدبي لجبور عبد النور بمعنى : " تمثل ما هو غير موجود على أنه موجود ، وذلك عن طريق الإحساس الرهيف والخيال

[1] نواف نصار ، معجم المصطلحات الأدبية (عربي ، إنجليزي) ، دار المعتز، عمان ، ط 1 ، 2009 ، ص 143 .

المبدع ، وهي أيضا شعور بأن المستحيل في رأي الآخرين ممكن التحقيق ، بحيث يبرز أصحاب الرؤيا في وضوح صاعق ، كأنه مائل أمام عينيه ، وقد تؤدي هذه الحالة إلى تعبئة جميع القوى في تحقيق ماهو مستحيل أو معجز ، وينتج عن تفرد الفنان أو الأديب بالرؤيا عن الآخرين شعور لديه بأنه كائن متميز إحساسا وفكرا وبأنه قادر على الاختراق " [1] .

ومنه فإن معنى الرؤيا لجبور عبد النور هي أن المستحيل يتحقق لدى أصحاب الرؤيا ، وأن الرؤيا تمثل ماهو غير موجود أنه حاضر وموجود ، وهذا الحضور يكون بالأحلام والخيال والإلهام ، وكذلك تمثل الرؤيا تحقق المستحيل الذي يكون مستحيل لدى الآخرين وهذا الاعتقاد لدى أصحاب الرؤيا يمنحهم القوى ليحسوا أنهم مميزين عن الآخرين .

ونجد الرؤيا يعرفها محي الدين صبحي في كتابه الرؤيا في شعر البياتي بقوله : " أن الرؤيا من طبيعة الأدب ، فمن طبيعة الأدب أن يقدم نظرة شاملة ومستقبلية إلى الحياة وتعبير النظرة الشاملة بمعنى الأزمنة الثلاثة ، ولا يقتصر على الإمتداد المكاني الذي قد يجعل الأدب تعبيرا عن روح العمر في إحدى المراحل " [2] .

---

[1] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1989 ، ص 134 .

[2] محي الدين صبحي ، الرؤيا في الشعر البياتي ، دار الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، ط 1 ، 1987 ، ص 22.

إذا فالرؤيا لدى صبحي الدين تشبه الأدب في طبيعته ،لأنها لها رؤيا أونظرة واسعة للمستقبل ،و تفوق الرؤيا المكان والعصر .

يعرف أدونيس الرؤيا بقوله : " إذا أضفنا إلى كلمة رؤيا بعدا فكريا إنسانيا بالإضافة إلى بعدها الروحي يمكننا حين اذ أن نعرف الشعر بأنه رؤيا ، والرؤيا بطبيعتها قفز خارج المفاهيم القائمة ، هي إذن تغيير في نظام الأشياء ، وفي نظام النظر إليها ،

وهكذا يبدو الشعر الحديث ، أول ما يبدو تمردا على الأشكال والمناهج الشعرية القديمة ، ورفضها لمواقفه وأساليبه التي استنفذت أغراضها " [1] .

إذا فإن أدونيس يعترف بضرورة ارتباط الرؤيا الروحية بأبعادها الفكرية والإنسانية ، فهو يقول بأن الشعر يعرف بأنه رؤيا ، أي أنها شمولية والرؤيا تعتبر نوعا من القفز على الثوابت القديمة ، اذن هي نوع من التغير.

كما يربط أدونيس بين الرؤيا والتخييل "حيث قال الباحث الدكتور بشير ناوزيريت : " أن التخييل شيء أشمل وأعمق من الخيال ، فالتخييل هو رؤيا الغيب وهو بديل اللانهائية عند أدونيس ، بل هو ملمح أساسي في الحركة الشعرية العربية الجديدة " [2].

---

[1] أدونيس ، محاولة في تعريف الشعر الحديث ، مجلة الشعر ، العدد 11 ، صيف 1959 ، ص 79 .نقلا عن :الشعر الحديث ، محمد بنيس،دار توبقال للنشر،المغرب،ط1، 1990،ص37.

[2] بشير تاوريريت ، استراتيجية الشعرية عند أدونيس ، دار الفجر للطباعة ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 2006 ، ص 61 .

ومنه فإن التخييل ليس هو نفسه الخيال لأن التخييل أشمل من الخيال ، وهو بمثل رؤيا الغيب وهو أساس في الحركة الشعرية العربية .

ويقول أدونيس في تعريفه للرؤيا بقوله : " والرؤيا في دلالتها الأصلية وسيلة للكشف عن الغيب ، أو هي العلم بالغيب ، ولا تحدث الرؤِيا إلا في حالة انفصال عن عالم المحسوسات ، ويحدث الانفصال في حالة النوم وتسمى الرؤيا عندئذ حلما ، وقد يحدث في اليقظة (...) ففي الرؤيا ينكشف الغيب للرائي فيتلقى المعرفة كأنما تمثل له الغيب في شخص ينقل إليه المعرفة " [1] .

ومنه فإن الرؤيا تكشف الغيب ، والرؤيا تجاوز في تحديثها عن العوالم المحسوسة أو الواقع إذا تعتبر الرؤيا حلما عندئذ أي عالم الخيال .

ويقول كذلك أدونيس ي كتابه مقدمة للشعر العربي : " القوة الرؤياوية التي تستشف ما وراء الواقع فيما تحتضن الواقع أي القوة التي تطل على الغيب وتعانقه فيما تتعرض في الحضور تصبح القصيدة جسرا يربط بين الحاضر والمستقبل ، الزمن والأبدية ، الواقع وما وراء الواقع ، الأرض والسماء " [2] .

ومنه فإن الرؤيا ترتبط بعالم الغيب والخيال وهي لا تتفق مع الواقع

[1] أدونيس ، الثابت والمتحول ، د ط ، د س ، دار الساقي ، ص 149 .

[2] أدونيس ، مقدمة الشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1979 ، ص 138 .

الفصل التّطبيقيّ

الفصل الثاني : الرؤيا الحضارية في قصيدة هوامش على دفتر النكسة و قصيدة الأرض الخراب

1- ترجمة الشاعر نزار قباني:

نزار قباني شاعر سوري ، وهو نجم من نجوم الحداثة الشعرية ، سواء من حيث احتفائه بالحب والمرأة ، أو من ناحية نقده اللاذع للسياسة .

مولده ونشأته :

ولد الشاعر نزار قباني في الواحد والعشرين من آذار عام 1923 في مدينة دمشق ، عاصمة سورية ب " مئذنة الشحم " وسط أسرة دمشقية عربية عريقة ، فكان جده أبو خليل القباني رائدا من رواد المسرح العربي ، فنشأ في بيت عتيق تعبق منه رائحة التراث ، وقد كان والده توفيق مولعا بالشعر والأدب عموما ، كما أنه كان داعما للحركة الوطنية .

عاش نزار قباني في مرحلته الأولى من الطفولة في جو هادئ مليء بالحب في كنف والدته " فايزة " ذات الأصل التركي ، وقد كان يميل إلى الرسم والموسيقى .

فطفولته كانت عاملا مهما في تكوين قالبه الشعري حيث أكد ذلك بنفسه عندما قال " الطفولة هي المفتاح إلى شخصيتي وإلى أدبي وكل محاكاة لفهمي خارج دائرة الطفولة محاولة فاشلة "

وقد أثرت حادثة انتحار أخته " وصال " على أشعاره

حياته العلمية والعملية :

تحصل نزار قباني على البكالوريا من مدرسة الكلية العلمية الوطنية بدمشق ، ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية وتخرج منها عام 1945 ، فضلا عن هذا فقد كان منذ طفولته شغوفا بتعلم فنون عديدة ، فقد تعلم الرسم وعشق الموسيقى وقد حفظ أشعار عمر بن أبي ربيعة ،وجميل بثينة ، وطرفة بن العبد ، وقد تتلمذ على يد الشاعر خليل مردم بك ، الذي علمه أصول النحو والصرف والبديع .

وقد عين نزار قباني بالسلك الدبلوماسي بعد تخرجه من الجامعة مباشرة ، فقد شغل وظيفة ملحق في سفارة سوريا بالقاهرة وهو لم يتجاوز 22 من عمره ، ومن القاهرة انطلق إلى تركيا ولندن وفرنسا وألمانيا وبلجيكا والسويد والدانمارك والصين وإسبانيا إلى أن استقر في بيروت .

تجربته الشعرية :

كان لشعر نزار قباني حضورا قويا ، فقد أحدث شعره صدى من خلال نشره لديوانه قالت لي السمراء سنة 1944 ، قبل تخرجه من الجامعة بعام واحد ، وقد حدث جدل واسع حول ديوانه الذي يضم جملة من القصائد يتغنى فيها بجسد المرأة ومفاتنها .

وقد هوجم من قبل الشرائح المحافظة التي اعتبرته شعرا إباحيا هداما ، ولم تنشر له قصائد الحب فقط بل نشرت له كذلك قصائد سياسية مثل : هوامش على دفتر النكسة

، عنترة ، يوميات سياف عربي ....الخ ، وبذلك فقد بدأ نزار قباني دربه الشعري بقصائد الحب والعشق ، وختم هذا الدرب بإلتفاته إلى أوضاع العالم العربي ، فنحت هذه الأوضاع في شكل قصائد سياسية ، كانت آخر ابداعاته في مهجره اللندني ، وقد أحدث نزار قباني قفزة شعرية حديثة ، فقد استخدم لغة معاصرة فامتازت قصائده بالجاذبية

نتاجه الشعري والأدبي:

لقد خلف نزار قباني كما هائلا من المؤلفات الأدبية والشعرية ، نذكر منها :

المؤلفات النثرية :

_ كتاب " عن الشعر والجنس والثورة " الذي صدر عام 1971 م .

_ كتاب " قصتي مع الشعر " صدر عام 1973 .

_ كتاب " يوميات مدينة كان اسمها بيروت " صدر عام 1978 .

_ كتاب " المرأة في شعري وفي حياتي " صدر عام 1981 .

_ كتاب العصافير لا تتطلب تأشيرة مرور صدر عام 1981 م .

_ كتاب الكلمات تعرف الغضب صدر في جزئين عام 1983 م .

_ كتاب لعبت بإتقان وهاهي مفاتيحي صدر عام 1990 م .

_ كتاب بيروت حرية لا تشيخ صدر عام 1992 .

_ كتاب دمشق نزار قباني

_ كتاب الشعر قنديل أخضر .

_ كتاب ماهو الشعر .

القصائد والدواوين الشعرية :

_ قصيدة سامبا صدرت عام 1949 م .

_ قصيدة قصائد صدرت عام 1956 م .

_ قصيدة بلقيس صدرت عام 1975.

_ قصيدة العصافير لا تطلب تأشيرة الدخول صدرت عام 1983.

_ قصيدة هوامش على دفتر النكسة .

_ قصيدو متى يعلنون وفاة العرب .

_ قصيدة المهرلون .

_ ديوان أنت لي صدر عام 1950 م .

_ ديوان حبيبتي صدر عام 1961 م .

_ ديوان الرسم بالكلمات صدر عام 1966 م .

_ ديوان قصائد متوحشة صدر عام 1968 م .

_ ديوان كتاب الحب صدر عام 1970 م .

_ ديوان أشعار خارجة عن القانون صدر عام 1972 م .

_ ديوان أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء صدر عام 1975 م .

_ ديوان أحبك أحبك والبقية تأتي صدر عام 1978 م .

_ ديوان إلى بيروت الأنثى مع حبي صدر عام 1978 م .

_ ديوان إضاءات صدر عام 1998 م .

_ ديوان موواويل دمشقية إلى قمر بغداد .

_ ديوان الكبريت في يدي وبلادكم من ورق .

_ ديوان قصائد لم تمت .

_ ديوان المختار من شعر نزار .

المسرحيات :

كتب نزار قباني مسرحية واحدة هي : جمهورية جنونستان ، لبنان سابقا عام 1977 م

.

الجوائز التي تحصل عليها نزار قباني :

لقد فاز نزار قباني بالعديد من الجوائز والأوسمة العربية منها :

_ وسام الجمهور من المحيط إلى الخليج وهو أرفع وسام حصل عليه .

_ وسام الإستحقاق الثقافي الإسباني عام 1964 م .

_ جائزة سلطان بن علي العويص للإنجاز العلمي والثقافي ، حصل عليها بدبي في 24 مارس 1965 م .

_ ميدالية التقدير الثقافي .

_ جائزة جبران العالمية ، قدمتها له رابطة إحياء التراث العربي في سيدني أستراليا .

وفاته :

بعد تدهور الوضع الصحي لنزار قباني ومعاناته سنة 1997 ، وافته المنية يوم 30 أفريل 1998 ، عن سن ناهز 75 عاما إثر نوبة قلبية ، وقد دفن بمسقط رأسه " دمشق " بناءا على وصيته .

2-تمثّلات الرؤيا الحضاريّة لنزار قباني في قصيدة هوامش على دفتر النكسة:

لعلّ المطلّع على شعر نزار قباني يلفي أنّ هناك تحولا في المضامين الشعريّة، فقد انتقل من شاعر يكتب عن المرأة إلى شاعر ملتزم يكتب عن قضايا الأمّة العربيّة وما قصيدة هوامش على دفتر النكسة إلّا شاهد على ذلك، ونحن بدورنا الآن، ووفقا لعنوان بحثنا نحاول أن نقف عن تلك التحولات الحاصلة في رؤيا الشّاعر في تلكم القصيدة إذ يحاول أن يعطي توصيفا لأسباب هزيمة كسرت المنحى المتصاعد للنّهضة العربيّة.

يقول نزار قبّاني:

أنعي لكم يا أصدقائي، اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم

كلامنا المثقوب، كالأحذية القديمة

ومفردات العهر، والهجاء والشّتيمة

أنعي لكم، أنعي لكم

نهاية الفكر الّذي قاد إلى الهزيمة[1].

[1] نزار قباني، هوامش على الهوامش،دط، بيروت، منشورات نزار قباني،1969م، ص4.

يعطي الشّاعر نزار قباني في هذه المقطوعة الشّعريّة سببا من أسباب الهزيمة مع اليهود التي كانت بمثابة إيذان لفشل المشروع النّهضويّ للأمّة العربيّة والإسلاميّة، فالشّاعر في هذه الأسطر الشّعريّة يضع يده على أهمّ سبب جعل المشروع الحضاريّ الإسلاميّ يفشل فشلا ذريعا بعد عشرات السّنوات من بدايته، فهو هنا يخبرنا أنّ التواصل العربيّ مع الحداثة الغربية كان تواصلا مادّيّا بحتا،أي من تجلّياتها، لهذا لم تتجاوز في التّنظير الفكريّ والمعرفيّ إلّا جانبا واحدا، فهي وقعت في فخّ استيراد نتائج حضارة أخرى، وهي الحضارة الغربيّة، فكنا زبائن لهذه الحضارة، فمشروع الحداثة هو قبل كل شيء هو منظومة فكريّة وفلسفيّة، وهذا ما فصّل فيه المفكّر والفيلسوف الحضاريّ الجزائريّ مالك بن نبيّ، حيث يرى أنّ مشكلة كلّ شعب هي في جوهرها مشكلة حضاريّة، ولا يمكن لشعب أن يحلّ مشكلته ما لم يتعمّق في فهم العوامل التي تبني الحضارات، أو تهدمها، فالشاعر نزار قباني يلتقي مع مالك بن نبيّ في ماهية الحضارة، فالمقطوعة السّابقة : لبسنا قشرة الحضارة، تتقاطع مقولة المفكر مالك بن نبي" الحضارة إبداع وتميّز، وليست تقليدا وتبعيّة ن فهو يدعو إلى ضرورة إبداع بدائل فكريّة ومناهج علميّة مستقلّة تتناسب مع البيئة الإسلاميّة بدل استيرادها كما هي من الغرب الأوروبيّ، فلكلّ حضارة نمطها وأسلوبها وخيارها"[1].

[1] مالك بن نبيّ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ، ط1، دمشق، دار الفكر، 1998م، 42.

هـذا مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى يقودنـا قـول الشّـاعر : لقـد لبسـنا قشـرة الحضـارة ، أنّ الحضـارة توضـع كإحاطـة تحـوي الأشـياء ولا تحتويهـا الأشـياء، فالحضـارة هـي مـن تصـنع منتجاتهـا، ولـيس منتجاتهـا هـي التـي تصـنعها، وهـذا مـا يسميه مالك بن نبي بتكديس الأشياء.

ننتقـل الآن إلـى قولـه : الـرّوح جاهليّـة، فالشـاعر نـزار قبـاني يوجهنـا إلـى مشـكلة أخـرى لا تقـلّ أهمّيـة عـن أختهـا سـالفة الـذّكر، فمـا تعانيـه الحضـارة الإسـلاميّة الآن هـي أزمـة روح وأخـلاق قبـل أيّ شـيء فكأنّـه يقـول الحضـارة هـي مـادّة وروح ولـيس مـادة فقـط، ولهـذا أسـتدل بقـول الفيلسـوف الحضـاريّ مالـك بـن نبـيّ" ماكـان لحضـارة أن تقـوم إلّا علـى أسـاس مـن التّعـادل بـين الكـمّ والكيـف، وبـين الـرّوح والمـادّة، بـين الغايـة والسّـبب، فأينمـا اختـلّ هـذا التعـادل فـي جانـب، أو فـي آخـر كانـت السّـقطة رهيبـة قاصـمة "[1]، فـالروح مقـوّم أساسـيّ لبنـاء الحضـارة، فالحضـارة ترتقـي بـالرّوح والفكـر وتنحـدر بـالغريزة، فمعنـى الـرّوح جاهليّـة هـو أنّ الإنسـان المسـلم المعاصـر يعـاني مـن خـواء روحـيّ، اختفـى فيـه معامـل الـدّين ،فلـو عـدنا إلـى الخصوصـيات التـي ميّـزت نشـوء الحضـارة الإسـلاميّة، نجـد أنّ نشـوءها كـان سـببه الـوحي الرّبـانيّ، ممّـا جعلهـا حضـارة خالـدة خلـود المبـادئ والتّعـاليم التـي تـدعو إليهـا، فالمجتمعـات الإسـلاميّة

[1] مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلاميّ، ص120.

استطاعت أن تستورد الأشياء، ولكن هناك بعض القيم لا تباع ولا تشترى، إنّها الأخلاق والإيمان، ولا يمكن لأحد من باعة المخلّفات أن يبيع لنا مثقالا واحدا منها .

ويقول أيضا:

يا أصدقائي

جرّبوا أن تكسروا الأبواب

أن تغسلوا أفكاركم، وتغسلوا الثّياب[1].

فالشّاعر في كلّ مرة يضع يده على سبب من أسباب الهزيمة النّهضويّة، فتراه هنا يدعو الأمّة العربيّة الإسلاميّة أن يغسلوا أفكارهم المختزنة تلك الأفكار الميّتة الّتي فقدت مبرّرات استمرارها، فقد علق بها بعض الخرافات والبدع، كما علق بها بعض اللوثات من الأفكار القادمة من وراء البحار، فعكرت صفاءها، ودنست نقاءها التي كانت عليه في زمن التوهج، فكان لزاما على الأمّة أن تغسل أفكارها ممّا اعتراها من هذا الدّنس.

كما أنّه يوجّه تقريعا لانكفاء الأمّة وتقوقعها على نفسها متجاهلة تاركة الأبواب موصدة، فما ينبغي لها هو أن تتثاقف مع الأمم بأخذ ما يناسبها وينسجم مع توجهاتها الدينيّة.

---

[1] نزار قباني، هوامش على الهوامش، ص9.

ويقول أيضا:

لو أنّنا لم ندفن الوحدة في التّراب

لو لم نمزّق جسمها الطريّ بالحراب

لو بقيت داخل العيون والأهداب

لما استباحت لحمنا الكلاب.

إنّ الشّاعر في هذا البناء الشّعريّ جسّد مفهوم الوحدة العربيّة وجعلها شيئا يدفن في التّراب، غير أنّ الوحدة شيء معنويّ، فهو يرمي بذاك أنّ الشعوب العربيّة حصرت الوحدة جغرافيّا، ولم تتجاوزها إلى ماهو أهم منها إلى روابط أخرى كالدّين واللّغة والتاريخ، فما تجرّأ علينا الاستعمار الغربيّ واستباح مناطقنا إلّا حين تركنا رابطة الدّين واللّغة وانقسمنا شيعا، ومزّقنا كلّ ممزّق، فالوطن العربيّ ليس مجرد أراض، بل يتعدّى ذلك إلى علاقات أخرى، وهي الدّين واللّغة والتّاريخ، فلو نظرنا نظرة في تاريخ الأمّة الإسلامية نجد أنّ الذي لمّ شملهم على كلمة واحدة بعدما كانوا مشتتين في جزيرة مترامية الأطراف، يتقاتلون من أجل ناقة أو سباق هو الإسلام؛ أي الدين، ولا شيء آخر.

ويقول أيضا:

نريد جيلا غاضبا

نريد جيلا يفلح الآفاق

ينكش التّاريخ من جذوره

وينكش الفكر من أعماقه[1].

ينـوّه الشـاعر نـزار قبـاني فـي هـذه المقطوعـة الشّـعريّة إلـى نقطـة مهمّـة وهـي التّـاريخ، وعـدم إحـداث قطيعـة معرفيّـة معـه، فهـو لا يـرى أي انطـلاق أو إقـلاع حضـاريّ إلا بإعـادة قـراءة التّـاريخ مـن جديـد، لا بـدّ مـن الـتخلّص مـن السـذاجة التّاريخيّـة، والتّحلّـي بـروح المسـاءلة، أي مسـاءلة التّـاريخ، والوقـوف عنـد أسـرار تشـكل حضـارة إسـلامية فـي وسـط الصـحراء، بعـدما كـان أهلهـا مشـتتين فـي قبائـل مترامیـة الأطـراف، حتـى نقتـبس منهـا أسـباب الإقـلاع، فماصـلح بـه أول الأمة يصلح بها آخرها.

ويقول أيضا:

يا وطني الحزين

حوّلتني بلحظة

من شاعر يكتب الحبّ والحنين

لشاعر يكتب بالسّكين

لأنّ ما نحسّه أكبر من أوراقنا

لا بدّ أن نخجل من أشعارنا[2].

---

[1] نزار قباني، هوامش على الهوامش، ص15.

[2] نزار قباني، هوامش على الهوامش، ص5.

نلمس في هذه المقطوعة نقطة الانعطاف في الإنتاج الشّعري لنزار قباني، فبعدما كان محصورا فقط في كتابات غزليّة، أحدث تحوّلا في زاوية الرؤية، فتغيّرت مضامين شعره، فأصبح يحمل همّا حضاريّا لأمّة تعاني التخلف والانحطاط، كما أنّه حطّ يده على المرضّ العضال الّذي لازم الأمّة، حتى يستأصل شأفته، ومن هذا نستنتج أنّ الشّعر له وظيفة في شحذ الهمم، وغرس تلك الحماسة لمجابهة الأعداء وردّهم على أعقابهم مذمومين مدحورين.

ويقول أيضا:

جلودنا ميّتة الإحساس

أرواحنا تشكو من الإفلاس

أيامنا تدور بين الزار، والشطرنج والنّعاس

هل نحن خير أمّة قد أخرجت للنّاس؟

يعطي الشّاعر من خلال رؤية حضاريّة أنّ زمن الأمّة العربيّة تغلب عليه الرتابة والسّأم، كأنّه ساكن لا تدور عجلته إلى الأمام، فحياة شعوبها لا جدّة فيها يقضون معظم أوقاتهم في الشطرنج أو اللهو، أو النوم، ومن كان هذا ديدنهم لا يصنعون حضارة، ولا يلحقون بركب الحضارة.

ويقول أيضا:

نجعل من أقزامنا أبطالا

نجعل من أشرافنا أنذالا

نرتجل البطولة ارتجالا

نقعد في الجوامع

تنابلا...كسالى

نشطر الأبيات، أو نؤلف الأمثالا

ونشحذ النصر من عدوّنا

من عنده تعالى...[1]

ويقدّم الشّاعر نزار قباني في هذه المقطوعة الشّعرية سببا من أسباب الفشل وهي عدم الفاعليّة، فتركيز الإنسان المسلم المعاصر على الأقول دون الأفعال، كذلك اتصافهم بصفة التواكل لا التوكّل، فالتوكّل أن تأخذ بالأسباب ثم تنتظر النصر من الله، أمّا التواكل فمعناه أن تبقى قابعا في مكانك لا تتوسّل مسالك النصر ثمّ تنتظره من الله عزّ وجل، فالسنّة الكونيّة هي في قوله تعالى:

3- ترجمة الشاعر توماس إليوت:

ولد توماس أليوت في 26 سبتمر 1888 ، في مدينة سانت لويس في الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت جنسيته أمريكية ، ثم أصبح راعيا بريطانيا في 1927 م ، ديانته توحيدية ، وأنكلو كاثوليكية .

[1] نزار قباني، هوامش على الهوامش، ص11،12.

ينتمي توماس إلى عائلة ذات مكانة اجتماعية كبيرة في بوسطن ، حيث كان والده (هنري وير إليوت) ، رئيس شركة لصناعة الطابوق وتعود أصول العائلة إلى إنجلترا ، فقد انتقل والد جد إليوت (وليوم غرينليق) إليوت إلى سانت لويس ، ميزوري ، لإنشاء كنيسة مسيحية موحدة أما والدة توماس أليوت (شارلوت جونسي ستيرنز) فقد كانت امرأة ذكية ، ذات اهتمامات في الأدب والدين ، وكانت نشطة اجتماعية وكتبت العديد من القصائد الشعرية ، منها قصيدة عن حياة الراهب (ساڤونا رولا) .

دخل توماس جامعة هارفود في خريف 1906 ، بعد اكماله دراسته في سانت لويس ، وبعد 03 سنوات تخرج منها ، ثم في عام 1910 ، ذهب ليدرس فلسفة والأدب الفرنسي في باريس ، ثم قرر عودة لجامعة هارفود ليكمل دراسته العليا في الفلسفة والمنطق ، وعلم النفس ، وعلم اللغات الهندية والسانسكريتية ، ثم عينته جامعة هارفرد مساعدا لتدريس الفلسفة في عام (1913_1914) ، ثم حصل على منحة للسفر إلى ألمانيا في الصيف الذي سبق الحرب العالمية الاولى ، ومن هناك ذهب لجامعة اكسفورد ليقضي سنة في أقدم كلياتها (مرتن) ليدرس الفلسفة الإفريقية .

يعود اهتمام إليوت توماس للأدب إلى عدة عوامل منها : أنه عانى بعض الإضطرابات الولادية في صغره ، جعلته لا يتمكن من المشاركة في الأنشطة البدنية ، ما دفعه إلى العزلة والاهتمام بالأدب، ، وهوسه الشديد بقراءة الكتب .

وقد نشر توماس عدة دراسات في الفلسفة والأدب في الدوريات ومجلات الأدبية ، فظهرت أول قصيدة له ، هي (أغنية حب ج . الفريد بروفريك) في مجلة الشعر بأمريكا في 1919 ، ثم أعقبت بعدها قصائد أخرى منها : ففي عام 1920 نشر قصيدتين

(جبروغشن / سويني ببن ملائكة الليل) .

وقد كتب قصيدة الأرض اليباب 1922 ، وقصيدة الرجال الجوف سنة 1925 ، وقصائد أريل (1227_1954) ورحلة المجوس سنة 1927 ، وكتب قصيدة أربعاء الرماد 1930 ، وكوربولان 1931 ، وكتاب الجرد العجوز عن القطط العملية سنة 1939 ، وقصيدة نشيد زحف الكلاب البوليكية ، بيلي مكاو : الببغاء المميز ، وكتاب الملكة عن الصليب الأحمر سنة 1939 ، وقصيدة الرباعيات الأربع 1945 ، وكان توماس أليوت كذلك كاتب مسرحي حيث ألف العديد من المسرحيات ، منها مسرحية صراعات سويني (نشرت في 1926 ، ومثلت لأول مرة في 1934) ومسرحية الصخرة سنة 1934 ، ومسرحية جريمة في الكاندرائية 1935 .

خروج إليوت بفتاة انكليزية (فيفيان هيكوود) في تموز 1915 ، وفي نفس السنة كان يشتغل بالتعليم لمدة سنة ثم انتقل لعمل في بنك لوجدظ باندن عام 1917 ، وقد ازداد اهتمامه ونشاطه في مجال النشر في الدوريات والمجلات ما بين (1917_1221) ، وقد تسلم تحرير مجلة المعيار في عام 1923 وأصبح مدير دار فيبر وفير للنشر.

اهتم إليوت بالكنيسة الانكليزية ، وازداد هذا الاهتمام سنة 1227 فأصبح تابعا لها ، وتحصل على الجنسية البريطانية في ذلك العام ، وقد كرمته جامعة هارڤرد بجعله أستاذا للشعر في العام الدراسي (1932_1933) ، وقد توفيت زوجته سنة 1947 التي كانت في مرض دائم ، وبعد السنة التي تليها تحصل توماس إليوت على أوسام الاستحقاق وجائزة نوبل في الأدب ، وبعد عشرة أعوام من وفاة زوجته ، وفي عام1957 ، تزوج فاليري فليجر ، التي كانت أمينة سره .

وقد توفي في الرابع من كانون الثاني 1965 ، بعد أن نشر ما يقارب عشرين كتابا من الشعر ، والمسرح والنقد ، وما يماثل هذا العدد من أعمال أدبية لغيره قدمها أو اختارها وعرف بها .

وكان سبب وفاة توماس انتفاح الرئة في منزله في لندن عن عمر يناهز 76 سنة .

4- تمثلات الرؤيا الحضاريّة عند توماس إليوت في قصيدة المطوّلة الأرض الخراب:

سنحاول في هذا الجزء من البحث أن نقف على تجلّيات الرؤيا الحضاريّة في قصيدة الأرض الخراب التي كان مضمونها الحضارة الغربيّة التي يكاد نجمها يؤول إلى الأفول، والمطّلع على هذه القصيدة يجد أنّ الشّاعر يذكر مظاهر قد تودي إلى سقوط هذه الحضارة التي عمّرت طويلا، حتّى ظنّ أهلها أنّها خالدة ولن تزول، ولهذا سنقف عند أهمّ النقاط التي ناقشها توماس إليوت، منتقين بعض الشّواهد فقط، دون التّطرق إلى كل القصيدة.

يقول الشاعر في فصل دفن الموتى:

نيسان أقسى الشّهور يخرج

الليلك من الأرض الموات، يمزج

الذّكرى بالرغبة، يحرّك

خامل الجذور بغية الربيع[1].

إنّ القارئ لهذه المقطوعة الشعريّة يجد أنّ الشاعر يشير إلى مصطلح ميلاد الحضارة، أو أنّ أيّ حضارة لها مراحل تشبه مراحل الإنسان، أو الفصول الأربعة، فقد شبّه سقوط الحضارة في التخلف والانحطاط بفصل الشّتاء التي تفقد الطبيعة فيها نضارتها وحلّتها، ليأتي فصل الربيع الذي أساسه شهر نيسان، في هذا الشّهر تزدان الارض وتزدهي بحلّتها وخضرتها ونضارتها، لهذا أصبح شهر نيسان في الشّعر المعاصر رمزا مركزيّا ومعادلا موضوعيّا للإقلاع الحضاري لأيّ أمّة من الأمم.

ويقول أيضا:

مدام سوسوستريس، البصارة الشهيرة

أصابها زكام شديد، ومع ذلك

فهي معروفة كأحكم امرأة في أوربا

لديها رزمة ورق خبيثة، إليك، قالت

هذه ورقتك، الملاح الفينقيّ الغريق

---

[1] توماس إليوت، الأرض الخراب، ص36

(لؤلؤتين كانتا عينيه، انظر)

هذه بيلاونا سيّدة الصخور

...سيّدة المواقف

هنا الرّجل ذو العصي الثلاث، وهنا العجلة

وهنا التّاجر وحيد العين، وهذه الورقة

وهي خالية، هي شيء يحمله على ظهره

الرجل المصلوب، اخش الموت بالماء

أرى جموعا من النّاس يدورون في حلقة[1].

يؤذن الشّاعر توماس إليوت في هذه المقطوعة الشّعرية بنهاية الحضارة الغربية الوشيكة، وهذه الرؤيا الاستشرافيّة لم تكن حديث واهم ممرور بل هي الحقيقة النّاصعة، وذلك لأنّ من أسباب انهيار الدّول والحضارات هو غياب الدّين، وقد رمز الشّاعر إلى ذلك بخلوّ الورقة من الرجل المصلوب وهو يعني به المسيح الّذي يرمز بدوره إلى الدين المسيحيّ الذي تنضوي تحته الأخلاق الفاضلة والمبادئ الأصيلة، فكل أمّة تصاب في دينها وأخلاقها فانتظر زوالها وتلاشيها من سجّل التّاريخ، ولو بعد حين.

ويقول أيضا في فصل لعبة الشطرنج:

تعلم لاشيء؟، هل ترى لاشيء؟، هل تذكر لا شيء؟

لؤلؤتين كانتا عيناه

[1] توماس إليوت، الأرض الخراب، ص38.

هل أنت حيّ، أم لا؟، هل يوجد لا شيء في رأسك؟[1].

يصوّر الشّاعر في هذه المقطوعة الشّعريّة الاتجاه العبثيّ الّذي ظهر في أوربا وهذا الاتّجاه هو مخرج من مخرجات الحضارة المادّيّة التي سيطرت على المجتمعات الغربيّة، فأصبحت حياتهم من دون معنى.

وما خلصنا إليه من خلال هذه المقارنة بين شاعر حداثيّ عربيّ وبين شاعر حداثيّ غربيّ أنّ الرؤيا الاستشرافيّة لهما تلتقي في نقاط منها:

-أنّ أيّ حضارة مآلها الزوال حين تتخلى عن الدين والأخلاق

-أنّ مظاهر السقوط الحضاريّ تتجلّى في هروب أفراد المجتمعات إلى أمكن اللذة واللهو، والابتعاد عن الفكر العميق.

وأمّا فيما يخصّ أوجه الاختلاف، فتمثّلت في كون نزار قباني يتحدث عن حضارة سقطت في التخلف، أمّا توماس إليوت فيتحدّث عن حضارة يتنبأ بسقوطها.

[1] توماس إليوت، الأرض الخراب، ص41، 42.

خاتمة :

وفي ختام بحثنا ، وبعد تطرقنا للحداثة في بعدها الفلسفي عامة ، وبعدها الأدبي عند الغرب وعند العرب ، وتناول أركانها توصلنا إلى جملة من النتائج وهي :

_ الحداثة ذات مفهوم واسع سواءا في بعدها الفلسفي أو الأدبي .

_ حضور الغموض والرؤيا كعنصرين أساسيين يستخدمها الشاعر في التعبير عن رؤياه .

_ الرمز والأسطورة من السمات البارزة في الشعر الحداثي .

وعند دراستنا للقصيدتين توصلنا إلى النتائج الآتية :

_ عدم التزام الشاعر الحداثي بمواضيع أمته والانشغال بمواضيع تافهة سبب من أسباب سقوط الحضارة الغربية .

_ الجهل والتخلف من أهم أسباب انهيار الحضارة العربية .

_ اللهو والفراغ وانعدام الأهداف هو سبب مشترك أدى إلى انهيار الحضارة العربية وسيؤدي بانهيار الحضارة الغربية.

_ تعصب العرب للدين من حيث الشكل أدى إلى سقوطهم .

_ انعواج الحضارة الغربية بسبب الحالة النفسية للشعوب من خوف وذعر بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية .

_ غياب الدين والأخلاق في الحضارة الغربية أدى إلى تفشي الخرافات والإلحاد .

_ من أسباب تردي الحضارة العربية هو استيراد أشياء حضارية أخرى وليس إنتاجها .

_ من مظاهر التخلف الحضاري تسطح الفكر والهروب إلى اللذة .

_ من أسباب التخلف الحضاري أيضا غياب منطق الفعل والتمادي في الأقوال والخطابات الشفوية التي لا تبني الحضارة .

قائمة المصادر و المراجع

- إبراهيم مدكور ، معجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1913 ، نواف نصار ، معجم المصطلحات الأدبية (عربي ، إنجليزي) ، دار المعتز، عمان ، ط 1 ، 2009 .
- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية ، ج 2 ، بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 204 .
- أدونيس ، الثابت والمتحول ، بحث في الاتاع والإبداع عند العرب ، صدمة الحداثة ، دار العودة ، بيروت ، ط 1 ، 1978 .
- أدونيس ، الشعرية العربية، محاضرات ألقيت في الكوليج ، دوفرانس ، باريس ، أيار 1984 ، دار الآداب ، بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ط 2 ، 1989 .
- أدونيس ، زمن الشعر ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 2005 .
- أدونيس ، كلام البدايات ، دار الآداب ، ط 1 ، 1989 .
- أدونيس ، محاولة في تعريف الشعر الحديث ، مجلة الشعر ، العدد 11 ، صيف 1959، ص 79 .نقلا عن :الشعر الحديث ، محمد بنيس،دار توبقال للنشر ،المغرب،ط1، 1990.
- أدونيس ، مقدمة الشعر العربي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1979 .

- ألان نورين ، براديغما جديدة لقدم عالم اليوم ، نرجمة جورج سليمان ، المنظمة الغربية للترجمة ، ط 1 ، بيروت.
- أليكسي لوسين ، تر : د منذر بدر حلوم ، فلسفة الأسطورة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط 1 ، 2000 .
- بشير تاوريريت ، استراتيجية الشعرية عند أدونيس ، دار الفجر للطباعة ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 2006 .
- جابر عصفور ، رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، المركز الثقافي العربي ، ط بيروت ، لبنان .
- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 1 ، 1989 .
- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 1982 م .
- دكتور علي عاشوري زيد ، من بناء القصيدة العربية الحديثة ، كاسو الأزكية ، ط 4 ، 1422هـ _ 2002م .
- الدكتور محمد التونجي ،المعجم المفصل في الأدب ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2، 1419هـ _ 1999 م .

- رضوى عاشور ، الحداثة الممكنة الشدياق على الساق ، الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 2 ، 2012 .
- رنيه وليك ، آوسترارن ، نظرية الأدب : تر : عادل سلامة ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د ط ، 1412_1992 .
- رولان بارت ، درس السيمولوجيا ، تر : عبد السلام بن عبد العالي ، دار التويفال ، مغرب ، ط 3 ، 1993 .
- الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998 م.
- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1985 .
- عبد الرحمن اليعقوبي ، الحداثة في التأليف الفلسفي الغربي المعاصر ، مركز نماء لبحوث والدراسات ، ط 1 ، بيروت ، 2014 .
- عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، مقاربة تشريحية لنصوص شعرية معاصرة.
- عبد الوهاب المسيرى ، دراسات معرفية في الحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط 1 ، القاهرة ، 2006 .

- عدنان علي رضا النحوي ، الحداثة في منظور إيماني ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط 1 ، 1409هـ _ 1988 م ، ط 2 ، 1409 هـ _ 1989 م ، ط 3 ، 1410 هـ_ 1989 م .
- عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، ط 4 ، ص 108_109 .
- عوض بن محمد القرني ، الحداثة في ميزان الاسلام ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، واعلان، ط 1 ، 1988 .
- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تر : مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 2005 .
- محمد أركون ، محمد الجابري ، هشام جعيط ، الحداثة الفكرية في التأليف العربي المعاصر ، مركز بناء البحوث والدراسات ، ط 1 ، بيروت ، 2014 .
- محمد الشكير ، هايدغر وسؤال الحداثة ، د ط ، المغرب ، 2006 ، افريقيا الشرق .
- محمد برادة ، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، مجلة فصول ، عدد 3 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1984 .

- محمد بن عبد العزيز بن أحمد العالي ، الحداثة في العالم العربي ، (دراسة عقدية) ، الدكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين .
- محمد عابد العابري ، التراث والحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط ، يوليو 1991 م [1] طه عبد الرحمن ، روح الحداثة ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، [1] عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، بروت ، لبنان ، ط 2 ، 2006 .
- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د ط ، أكتوبر ، 1988 .
- محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 3 ، 1984 .
- محمد مصطفى هدارة ، محاضرة الحداثة والتراث ، نقلا عن رضا النحو ، الحداثة في منظور إيماني .
- محي الدين صبحي ، الرؤيا في الشعر البباتي ، دار الثقافية العامة ، العراق ، بغداد ، ط 1 ، 1987 .
- مسعد بن عبد العطوي ، الغموض في الشعر العربي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ط 3 ، 1420 هـ .

- مطاع صفدي ، نقد العقل الغربي وما بعد الحداثة ، مركز الانتماء القومي ، بيروت ، لبنان ، 1990 .
- هبرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر ،فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995 .
- وليام إمبسون ، سبعة أنماط من الغموض ، تر : صبري محمد حسن عبد النبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، د ط ، 2000 .
- يوسف الخال ، الحداثة في الشعر ، دار الطباعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1978 .

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة 01

الفصل الأول

تأصيل الحداثة فلسفيا و أدبيا

1. مفهوم الحداثة 06

1.1 الحداثة في بعدها الفلسفي 06

1-2. الحداثة في بعدها الأدبي 10

2. أركان الحداثة الأدبية.....21

2-1 تعريف الغموض 21

1.1.2 أركان الغموض.....26

2-2. تعريف الرؤيا 30

الفصل الثاني : الرؤيا الحضارية في قصيدة هوامش على دفتر النكسة و قصيدة الأرض الخراب

1- ترجمة الشاعر نزار قباني.....39

2-تمثلات الرؤيا الحضاريّة لنزار قباني في قصيدة هوامش على دفتر النكسة.....45

3- ترجمة الشاعر توماس إليوت.....52

4- تمثلات الرؤيا الحضاريّة عند توماس إليوت في قصيدة المطوّلة الأرض الخراب.....55

خاتمة 50

قائمة المصادر و المراجع 52

الفهرس 57